تجليات مبدأ الحرية في مسرح المواقف

.

أحمد طوالة
الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية
المملكة المغربية.
a.taouala@umi.ac.ma

ملخص باللغة العربية:

سننطلق من خلال هذه المقالة الى عرض بعض الخطوط الرئيسة للفلسفة الوجودية و لاتجاهاتها و منطلقاتها، ولفلسفة سارتر بشكل خاص، وذلك ليكون مساعدا في فهم أفكاره في المسرح، إذ أنه تترابط أفكاره جميعها لتشكل كلا متكاملا، مبرزين مفهوم الحرية في مسرح المواقف و تجليات قيمها، وذلك من خلال استقراء أهم أعماله الروائية والمسرحية من أجل توضيح العلاقة بينها وبين آرائه النظرية.

إن تجربة سارتر المسرحية وما تنطوي عليه من تمزق و تمرد و غربة وقلق وغثيان هي في الحقيقة تعبير عن الوجودية و اللانتماء كفلسفة ، وإن ماورد في مسرح سارتر كمسرح مشبع بهموم الفلسفة و تساؤلاتها يبقى ، مع ذلك ، مسرحا جميلا مؤثر ومتميزا ، في نفس الوقت الذي يتمثل فيه الفلسفة آفاقا و مناخا و شمولا و عمقا ، لا حلول جاهزة أو مواقف ناجزة .

فهذا المسرح يتضمن مواقف ونماذج انسانية تجسد الأزمة التي ما هي إلا أزمة واقع و أزمة عصور تاريخية متلاحقة و متطورة كشفت أخيرا عن خطورتها في العصر الحديث كأزمة إنسانية معاصرة ، و كمأساة وعي جماعي من حيث شعوره بالإستيلاب والإغتراب .

لقد جعل سارتر من مسرحه وعاء يصب فيه فلسفته ، فأدار حواره الفلسفي على خشبة المسرح من خلال الشخصيات المسرحية ، وجعل شخصياته في مواقفها تدير حوارا من أجل الإيحاء بما ينبغي أن يكون ، ولهذا يختار شخصيات متنوعة .

كلمات مفاتحية باللغة العربية: الحرية ، مسرح ، المواقف ، سارتر

ABSTRACT :

Through this article, we will begin to present some of the main lines of existential philosophy, its trends and starting points, and of Sartre's philosophy in particular, in order to be helpful in understanding his ideas in theatre, as all of his ideas are interconnected to form an integrated whole, highlighting the concept of freedom in the theater of situations and the manifestations of their values, This is done by extrapolating his most important novels and plays in order to clarify the relationship between them and his theoretical views.

Sartre's theatrical experience and the rupture, rebellion, alienation, anxiety, and nausea it entails are in fact an expression of existentialism and non-belonging as a philosophy. What is stated in Sartre's theater as a theater saturated with the concerns and questions of philosophy remains, however, a beautiful, influential and distinct theater, at the same time that Philosophy represents horizons, climate, comprehensiveness, and depth, not ready-made solutions or finished positions.

This theater includes human positions and models that embody the crisis, which is nothing but a crisis of reality and a crisis of successive and evolving historical eras that finally revealed its seriousness in the modern era as a contemporary humanitarian crisis, and as a tragedy of collective consciousness in terms of its feeling of alienation and alienation.

Sartre made his theater a vessel into which he poured his philosophy. He conducted his philosophical dialogue on stage through theatrical characters, and he made his characters in their positions conduct a dialogue in order to suggest what should be, and for this reason he chooses various characters.

كلمات مفاتحية باللغة الإنجليزية *: Freedom, theater, attitudes, Sartre*

مقدمة:

سنحاول من خلال هذه المقالة عرض الخطوط الرئيسة للفلسفة الوجودية و لاتجاهاتها و منطلقاتها، ولفلسفة سارتر كذلك، وذلك ليكون مساعدا في فهم أفكاره في المسرح، إذ أنه تترابط أفكاره جميعها لتشكل كلا متكاملا، مبرزين مفهوم الحرية في مسرح المواقف و تجليات قيمها ، بالإضافة إلى مفهوم الالتزام، محددين موقفه من عدم التزام الشعر، وتفرقته بين الشعر و النثر على هذا الأساس. و ذلك من خلال استقراء أهم أعماله المسرحية من أجل توضيح العلاقة بينها وبين آرائه النظرية.

إنّ الحديث عن الحرّيّة في معناها التجريديّ لا يُجدي؛ لأنّها لا تكتسب معناها الحقّ إلّا في موقف معيّن. الحرّيّة في معناها الإنسانيّ مقيّدة، بها يتخلّى المرء عمّا يضرّ بحرّيّة الآخرين.

إنّ الكاتب في المجتمعات الّتي يكون بناؤها قائمًا على الثورة، يمكن أن يكون وسيط الجميع ."[1] ومن هذه النقطة، يرى رمضان الصبّاغ أنّ "للكاتب من وجهة نظر سارتر مهمّة تغيير العالم عن طريق الالتزام؛ فالإنسان الملتزم هو الإنسان الّذي يستشعر مسؤوليّته تجاه مَنْ يتبعه من الناس، والكاتب يشعر بهذه المسؤوليّة تجاه قرّائه؛ فيجب عليه أن يتّخذ موقفًا منحازًا للمظلومين والمضطهدين؛ فمن المستحيل أن يقف الكاتب محايدًا تجاه الصراعات الّتي تدور في المجتمع والعصر. ثمّ إنّ الماركسيّة أيضًا – الّتي يعتنقها سارتر – ترى أنّ الكاتب مطالب بالوقوف في صفّ التقدّم؛ لذلك فإنّ مهمّته الرئيسيّة تتمثّل في دفع الناس نحو التغيير."[2]

سياق تاريخي و نظري:

ظهرت الوجودية في القرن العشرين كصرخة للإنسان في وجه العبودية و الطغيان وكفاحه من أجل التحرر و الخلاص ، إنها تمرد على القضاء و القدر و انصهار للإنسان مع مصيره ، كما أنها دعوة لكل فرد أن يكون مستقلا بذاته .

يقول سارتر " إن الإنسان محكوم عليه أن يعيش حرا . أقول محكوم عليه لأنه لم يخلق نفسه بنفسه، فيما عدا ذلك فهو حر لأنه بمجرد أن يلقي في الدنيا فقد أصبح مسؤولا عن كل أفعاله "[3].

هكذا، ظهرت أفكار سارتر عن الحرية كعنصر حيوي في الأدب، بداية ، في التحديد السالب للحرية و الأخلاق الوجودية " فهيلبر " و " ماثيو " بطلان يملكان نوعا من الثورة السالبة، فقد فعلا كما فعل بودلير في ثورته على المجتمع البورجوازي " لكنهما أخفقا كما أخفق بودلير في مواصلة الثورة حتى النهاية "4. فقد أراد هيلبر أن يطلق النار كيفما اتفق على كل من يقابله، ووقف بودلير في مواجهة المجتمع البورجوازي، ولكن كلا منهما لم يكن يعرف أن عمله هذا عملا مجانيا أو عملا زائفا ، ولذا أخفقا ولم يسعهما الإستمرار.

يعتقد هذا الفيلسوف أن الحرية تبدو كأنها مخلوق بشري يستبعد ماضيه في الوقت الذي يفرز فيه عدمه الشخصي . وبذلك يصل إلى تشبيه الحرية بالمرض أو السلطة الجارفة التي تفوق كل نشاط خلاق فتثير لدى الإنسان كل ألوان القلق النفسي .

التقعيد الفلسفي لمبدأ الحرية:

يرى سارتر في الحرية الإستعداد للإنخراط في العالم، و إن كان قد رأى في أعماله المبكرة بأنها " تتحقق على مستويين من مستويات الإختيار ، أحدهما يمكن أن يختار بالإتجاه مباشرة نحو الإدراك ، و الواقعي ، و الفعل ، و الرغبة ، و الحقيقة والأخلاقية ، من ناحية أخرى فإنه يمكن أن تقوم محاولة للهروب من هذه السلسلة من التعقيدات الموجودة في العالم الواقعي إلى النقاء السلبي بالإتجاه نحو التخيل ، و الإنفعال ، نحو غير الواقعي و التأمل ، نحو الخطأ و الشر و الفن "[5] .

إذا كانت الحرية، تصح تعريفا للإنسان ، لأنها تنبع من ذاته، و لأنها هي " أنني ملزم بأن أريد حرية الآخرين في الوقت الذي أريد فيه حريتي، و يمكنني أن أجعل الحرية هدفا لي ، إذا جعلت حرية الآخرين هدفا لي أيضا "[6] .

الإنسان إذا كان لا يمكن أن يكون إلا حرا ، فإنه بوجوده ، الذي يتضمن عدمه يكون حرا، " فالحرية ليست وجودا ما، إنها الوجود الإنساني ، أعني عدم وجوده،ولو تصور الإنسان أولا ملاءً، فسيكون من غير المعقول أن نبحث فيه، عن لحظات أو مناطق نفسية سيكون فيها حرا ، و إلا لكان ذلك شبيها بالبحث عن الخلاء في إناء ملأناه من قبل حتى الحافة، و الإنسان لا يمكن أن يكون حينا حرا ، وحينا آخر عبدا إنه بأسره دائما حرا، أو هو ليس شيئا [7]." فليس ثم فرقا بين الإنسان، وكونه حر بل دور الحرية ليست حرة في ألا توجد ، ولا ألا تكون حرة "[8] .

يبدو الجانب السلبي من الحرية و الإختيار طريقا للإنسان الذي يفر من قدره مستنجدا نظر الأخرين ، " الذي هو مرآة يبحث فيها الضعف البشري عند انعكاسه الذي يعفيه من أن يكون هو حقا نفسه : ذلك هو الدوار الذي يبهر الإنسانية ، في نظر سارتر ، الذي يطلب إليهم أن يحلوا محل تبرير داخلي "[9].

أما الفهم الإيجابي للحرية فهو يتمثل في شخصيات المواقف عند سارتر ، و إن كان فهمه للحرية في هذا المجال يحمل تناقضا حادا في داخله .

إن مشروع سارتر القائم على الحرية في الأساس ، و هي الإشكالية التي تزعجه منذ ظهور روايته " الغثيان " 1938 حتى نشر كتابه عن جينيه 1952 ، هو في نهاية الأمر إبراز محاولة جينيه الأدبية في شكل اختيار إرادي لذات حرة . إن هذه الحرية تمثل نوعا من القدر المضاد، فهي تمثل هذه الإمكانية التي تتيح للإنسان أن يحافظ على جوهره كمخلوق حر و أن ينقد ماء

وجهه و كرامته البشرية و هو في أدنى درجات الحضيض، إلا أن هذا الموقف لا يؤدي إلى قيم بناءة أو نتائج إيجابية ." فالحرية التي تنطلق من العدم لا تؤدي إلا إلى العدم إذ فيم تنفعني هذه الحرية إذا لم تخبرني إلا بما أعرفه فعلا وهو أني كائن حر ؟ "[10] .

فالإنسان الحر لدى سارتر يوجد في موقف ، و يعتبر المسرح أفضل الأدوات التي استعملها سارتر لتصوير الموقف ، و شخصياته تعبر عن الإختيار الحر الأصيل ، لأنه يرى من واجب الكاتب المسرحي اختيار الموقف الذي يعبر أكثر ، و يقدمه للجمهور بوصفه مسألة معروضة على بعض الحريات ".[11]

تجليات مبدأ الحرية في مسرحية " الذباب ":

اهتم سارتر بإبراز مبدأ الحرية خاصة من خلال أعماله المسرحية . ونجده خاصة في مسرحية " الذباب " يطرح موضوع الحرية ، و يعرض جوانبه المختلفة في إطار أدبي رفيع ، فيلقي الضوء على عدة نقاط نظرية من بينها ما يدور حول الأفكار العلمية المرتكزة على الوجودية ، و خاصة موضوع الحرية .

كتب سارتر مسرحية الذباب سنة 1943 إبان الحرب العالمية الثانية، و استلهم فيها أسطورة أورست و الكترا سليلي عائلة أوديب الملعونة. إن موضوع المسرحية تناوله العديد من الكتاب قبل سارتر و بعده ، نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر الكاتب المسرحي جان جيرودو " اليكترا " .

تدور مسرحية سارتر حول قصة أورست ابن أجاممنون و كليتمنسترا الذي أبعد عن بلدته أرغوس و هو طفل في الثالثة من عمره بأمر من ايجيست ، قاتل أبيه ومغتصب عرشه و عشيق أمه. ويعود أورست إلى موطنه بعد انقضاء عشر سنوات على حياته في المنفى . فيجد بلدته غارقة في الندم ممثلا في أسراب الذباب و السواد الذي ترتديه سيداتها . يقابل أورست أخته التي تنتظره و هي غارقة في أحلامها متوقعة منه أن يثأر لأبيها و يخلص بلدته من ثقل الندم و الخوف .

بعد مدة ، يقوم أورست بتنفيذ ما كان يراوده ، فيقتل أمه و عشيقها . و يحرر بلدته من الذباب بأن يغادرها في حركة مسرحية ، مقلدا عازف الناي الذي خلص بلدته سكيروس من هجوم الفئران .

أما الكترا فلم تتحمل نتيجة ما فعله أخوها ، و سقطت فريسة سهلة الندم و الخوف طالبة الرحمة من جوبيتر كبير الآلهة "[12].

تدور المسرحية في ثلاثة فصول ، يتغير الديكور أربع مرات ،وعلى مشاهد متعددة، و يدل وجود تمثال لجوبيتر على حضور الآلهة . و يجري الفصل الثالث في معبد أبولون . الذي يعتبر حامي جريمة أورست و المحرك لها ، و يصير في مسرحية سارتر حامي جميع الملاحقين ، و ملجأ كل من يبحث عن مخبأ ضد الآلهة و الإنسان . يقول زكريا إبراهيم " و الواقع أن سارتر حين يقرر أن الإنسان حر ، فإنه يعني بذلك أن الإله غير موجود لأن البشرية عنده إنما تقوم على أنقاض الحرية الأهلية ، و إن كان ديكارت قد ذهب إلى أن معيار الحقيقة هو إرادة الآلهة الحرة ، فإن سارتر يؤكد أن الإنسان نفسه هو الذي يبدع القيم ، و هو الذي يفصل في الحقيقة"13 . نجد سارتر في مسرحية الذباب أقرب من اشيل ، على الرغم من أنه يأخذ النص في اتجاه مخالف ألا وهو تأكيد حرية الإنسان ضد حرية الآلهة و القدر. و تختلف مسرحية سارتر عن مسرحية جيرودو ، إذ يحضر فيها أورست إنسان حر، يرافقه مرب ، بينما هو في الكترا جيرودو ، غريب يحاول أن يتذكر و توجهه إلكترا في كل فعل من أفعاله إذ بعد أن يقوم بفعله يتوارى ويختفي عن المسرح ، و يأتي الحل مع ألكترا . بينما في " الذباب " فإن الجزء الأهم من المسرحية يدور بعد القتل ، في اللحظة التي يؤكد فيها أورست مسؤوليته و حريته .

في ظل انتهاء عهد الآلهة و الملوك يفسح أبواب الحرية على مصراعيها لتصبح قيمة أساسية في المسرح الحديث ، إذ كانت لسارتر قضية وجودية . فحسب سارتر ليست الحرية صفة أو خاصية مضافة إلى طبيعته، بل إنها خاصية الوجود ، و هذا ما قاله أورست بطل مسرحية الذباب في حواره مع جوبيتر :

جوبيتر : ألست ملكك أيتها الدودة الوقحة ؟ من خلقك إذا ؟

أورست : أنت ، و لكن كان ينبغي أن لا تخلقني حرا

جوبيتر : لقد وهبتك الحرية لتخدمني

أورست : ربما، ولكنها انقلبت عليك ولا نستطيع، بعد شيئا، لا أنت ولا أنا.

جوبيتر : حقا ! هل تدرك أنها تشبه الاعتذار كل الشبه تلك الحرية التي تدعي نك عبد لها؟

أورست : لست السيد و لا العبد ، يا جوبيتر ، إنني حر ! فأنت لم تكد تخلقني حتى أصبحت لا أخصك [14].

يعلم أورست أن ما يجدد جوهر الإنسان و يحقق ذاته ، إنما هي الحرية و لا شيء غيرها .و بهذا يعطي سارتر لبطله التحكم في مصيره و يسلمه زمام تحديد مساره معلنا بذلك نهاية تدخل الآلهة و سيطرتها ، و تحقيق حرية شاملة يختار على ضوئها الإنسان مصيره، و يكون بذلك مسؤولا عن أفعاله لأنه هو من اختارها . وبهذا المعنى يكون المسرح الحديث قد فصل في مسألة القدر و نفى عن الآلهة قوتها و تدخلها ، و أصبح الفرد مسؤولا عن اختياره .

تبدو مسرحية الذباب تأكيدا لمفهوم سارتر عن الحرية في مواجهة القدرية فأورست يخلص المدينة من العذاب الذي ترسف فيه معلنا أن هذه هي مشيئة الحياة ، أن يعيش الناس في حرية و يخلصها أيضا من القدرية .

يقول جوبيتر : الحق إن كان هذا متوقعا يا أورست ، كان لابد لرجل من أن يأتي ليعلن غروبي ، أفهذا أنت ؟ من الذي يمكن أن يصدق هذا، أمس لدى رؤية وجهك الأنثوي "[15].

واختيار سارتر للموقف هنا ، اختيار متعمد ، أراد به أن ينقسم البشرية إلى أبطال ، وبقية الجنس البشري . فالذباب أول عمل مسرحي لسارتر يشهد التحول من الحرية المجانية التي ترى الخلاص في الفن إلى المسؤولية.

لقد تظافرت لأورست عدة عوامل في حياته سببت له نوعا من اللامبالاة ، منها النفي المبكر بعيدا عن وطنه ،و الثقافة التي تلقاها على يد المربي ، تلك اللامبالاة التي يفخر المربي في وصفها قائلا لأورست :

"... ألم أجعلك منذ حداثتك ، تقرأ جميع الكتب ،لكي تألف اختلاف الآراء الإنسانية ، وأجعلك تطوف مئة مقاطعة ، مقدما لك الدليل ، و في كل مناسبة ، على مدى ما في أخلاق الناس من تغير ، و ها أنت الآن شاب غني و جميل ، محنك كالشيوخ، متحرر من كل العبوديات ومن كل المعتقدات ، لا عائلة ، لا دين ، لا مهنة ، حر ، تلتزم بما شئت و مدرك أنه لا ينبغي للإنسان أن يلتزم أبدا ، و أخيرا ، ها أنت رجل ممتاز وجدير فوق ذلك بأن تعلم الفلسفة و النحت في مدينة جامعية كبرى " [16].

عاش أورست تربية في جو من الترف ، وبطريقة تتيح له أن يستمتع بالحياة ، لكن أورست يحس بالفراغ الذي أوجدته في داخله ومن حوله تلك الحرية المثلى ، ويشعر ضيقا إذ يواجه هذا الموقف الذي عليه أن يختار فيه : فإذا لم يكن هناك ما يقصره أو يلزمه .

يقول أورست للمربي : " ... لقد تركت لي حرية كحرية هذه الخيوط التي تنتزعها الرياح من بيت العنكبوت . فأتأرجح على ارتفاع عشرة أقدام من الأرض ، إنني لا أزن أكثر من هذا الخيط، إني أعيش معلقا في الهواء ، أنا لا أعرف إن هذا حظي، و أقدره حق قدره "[17].

لكن أورست لا يلبث أن يشعر إمكانية وجود وجه آخر للحياة أكثر التزاما و ارتباطا بالواقع فيستطرد قائلا :

" من الناس من يولدون ملتزمين ... ليس لهم خيار ، قذف بهم في طريق ما ، و في آخر الطريق فعل ينتظرهم ، فعلهم ، إنهم يصيرون و أرجلهم العارية تطأ الأرض بشدة فتتسلخ جلودها على الحصى "[18].

فعند دخوله البلدة، أصبح أورست يشعر بنوع من الغربة ،و الإحساس بعدم الإنتماء إلى هذه البلدة التي رأت عيناه فيها النور،حيث الأزقة و المنازل تبدو غير معروفة لديه . هذه الحالة جعلت أورست يشعر بالغثيان نتيجة الإحساس بالعزلة والوحدة، فطلب الخروج من أرغوس و قال للمربي : " الا تدرك أننا نهترئ في حر الآخرين " [19].

و هكذا ،تمثل أرجوس و أبناؤها بالنسبة لأورست دور الآخر في مواجهة الذات، وهذا الآخر ليس إلا موجودا مبهما ،يثير الضجر و الحرج في نفسية أورست ."إنه وجود جهنمي لا يقوى بطلنا على احتماله . ولكن الشعور و الإعتراف بوجود الآخر يثير في نفس الوقت قضية علاقة الوعي بالذات – العالم .حينئذ يشعر أورست بالحاجة إلى تخطي حدود ذاته والذهاب لملاقاة العالم كوجود شامل" .

يظهر أورست ، منذ بداية المسرحية ، رجل حر و إنسان أعلى ، ومع هذه الحرية التي تضعه خارج كل الإضطرارات ، يريد أورست أن يزن و أن يؤثر بكل وزنه ، ليحتفظ بها .

في البداية ، يختار أورست حريته ويقرر ترك أرغوس ، لكنه يلتقي الكترا التي تروي له رغبتها ، وانتظارها لأخيها الذي سينتقم لها و خلصها من العبودية مع جميع سكان أرغوس. فيقرر

أورست أن يقوم بفعل لتحقيق رغبته بالإنتماء إلى ساكنة أرغوس، وذلك بتلبية رغبتهم و بتحريرهم من الندم الذي غرقوا فيه . وبعد ذلك ، يقتل أورست أجيست و "كليتمنسترا" ، وهو على عكس الكترا ، يؤكد فعله ويطالب به في مواجهة الآلهة وساكنة أرغوس الذين جاؤوا يطالبون بموته[20] . " و يظهر جليا أن أورست يخلق قيمة بمواجهة القيم المنتشرة . و يحاول أورست قبل ذلك أن يستشير الآلهة نصحته بعدم القتل ، لكنه تمرد على هذا القانون ، وخلق إرادته . وبذلك يتحدى جوبيتر الذي يدعوه إلى السكينة و الخضوع لقوانين عالمه :

أورست: .... خارج الطبيعة ضد الطبيعة ، دون عذر ، دون أي ملجأ سوى نفسي ، و لكنني لن أرجع إلى قانونك : إنني مقضي على بأن لا يكون لي سوى قانوني الخاص . لن أرجع إلى طبيعتك ، إن فيها ألف طريقة مرسومة تقود إليك ، ولكنني لا أستطيع أن أتبع إلا طريقي "[21].

هذا الطريق هو الحرية ، فأورست يعلم أن الناس أحرارا ، و يتضح من خلال هذا أنه لا يكشف عن موقف أورست عن اكتشافه لحريته التي حددت وجوده ومصيره فحسب. و إنما يكشف إلى جانب ذلك عن فلسفة سارتر التي تسخر من مبدإ الإعتراف بالخطيئة . و ما تفرضه على الناس من شعور بالندم ، الذي هو عنده شعور سلبي معوق. فإن الإختفاء وراء الندم إنما هو في رأيه هروب من مواجهة الحياة ، بل إن مثل هذا الشعور بالخطيئة لهو أوغل في الشر من الشر نفسه . وهكذا فإن " الحرية ليست صفة أو خاصية مضافة إلى طبيعتي ، إنها بكل تحديد خاصية وجودي "[22].

واجه أوريست القيم المصطنعة التي تقمع الإنسان و تحوله إلى ذهن جدي و إلى سوء النية ، هناك طريق آخر ، هو طريق الإنسان ، عليه أن يخلقه و إذا كان الإله يجاوب و يناقش ، فإن سارتر يبين من خلال أورست ، أن الإنسان حر دون الإله وماوراءه .يقدم أورست معيارا جديدا للعدالة ، فالفرد هو الذي يقرر ماهو عادل، أورست: ندم ؟ ولماذا ؟ لقد قمت بما هو عدل.

أجيسيت : العدل هو ما يريده جوبيتر ؟

أوريست : وبما يهمني جوبيتر ؟ فالعدالة قضية إنسانية ، ولست أحتاج إلها ليعلمني إياها . ومن العدل أن أسحقك أيها النذل القدر ، و من العدل أن أقوض ممتلكاتك على سكان أرغوس "[23].

فمعيار العدالة هو كرامة الإنسان ، ومن حرية الإنسان يمكن أن يبدأ كل شيء . و كل مايجعل الإنسان حرا هو عدل . وبهذه الحرية سيترك أوريست أرغوس باتجاه طرق جديدة عليه أن يخلقها وحيدا وهو حرا الآن .

وكان رد جوبيتر جد قاسي على أوريست حيث طلب منه الرحيل . جوبيتر : " أيها الشاب مع السلامة ، إن نظام المدينة و نظام الأرواح لا يستقران : إذا مستهما أحدثت كارثة ... كارثة هائلة تقلب عليك "[24].

يجلب سارتر جوبيتر إلى خشبة المسرح، و يهاجم المسيحية و مبدأ الخطيئة الأصلية، ويعلن نهاية الالهة و تولى البشر الحكم و السيطرة على مصيرهم .

جوبيتر : إذا انفجرت الحرية ، مرة ، في روح إنسان ، لم يبق للآلهة على هذا الإنسان أية سلطة ، إذ أنها قضية إنسانية ، وللناس الآخرين لهم وحدهم – أن يتركوه طليقا أو يخنقوه " [25].

يحاول سارتر في هذه المسرحية ، أن يعطي للبشر كل وسائل التحكم في مصيرهم ، و يأخذ أوريست كنموذج و مثل أعلى ، بينما جوبيتر يبدو كإله للذباب والموتى .

وتمثل مسرحية " الذباب " محورا أساسيا في فلسفة سارتر، وهو الإختيار للإنسان حرية الفعل ، ولكن عليه أن يختار طيلة الوقت ، فحتى الإمتناع صورة من صور الإختيار، و الإنسان من خلال اختياراته المتعاقبة يلتزم حتما ، وهذا الإلتزام يحد من حريته المقبلة .

كتب سارتر " الذباب " لمهاجمة المحتل الألماني ، وأن الأسطورة كانت مجرد وسيلة لإخفاء نواياه عن الرقابة ، ولكي يساهم في استئصال شيء من الندم من جهة ولتشجيع الشعب الفرنسي من جهة أخرى"[26] . و نشأ هذا خاصة بعدما وجه الماريشال بيتان مجموعة من الرسائل إلى الشعب الفرنسي . احساس جماعي بالذنب ، مما كرس الإستسلام الناتج عن الهزيمة . و أراد سارتر أن يعالج هذا الوضع ، فشعب أرغوس يرمز إلى الشعب الفرنسي ، و يرمز أوريست إلى قلة من الفرنسيين قامت بمقاومة الألمان . و بما أن بيتان يحث الفرنسيين على الندم ، اخترع سارتر الإحتفال السنوي بالموتى ، حتى يظل الخوف مسيطرا على أبناء أرغوس . أما خطيئتهم الأولى ، فتتمثل في عدم ثورتهم على مقتل أجاممنون .

خاتمة:

إن تجربة سارتر المسرحية وما تنطوي عليه من تمزق و تمرد و غربة وقلق وغثيان هي في الحقيقة تعبير عن الوجودية و اللانتماء كفلسفة ، وإن ماورد في مسرح سارتر كمسرح مشبع بهموم الفلسفة و تساؤلاتها يبقى ، مع ذلك ، مسرحا جميلا مؤثر ومتميزا ، في نفس الوقت الذي يتمثل فيه الفلسفة آفاقا و مناخا و شمولا و عمقا ، لا حلول جاهزة أو مواقف ناجزة .

فهذا المسرح يتضمن مواقف ونماذج انسانية تجسد الأزمة التي ما هي إلا أزمة واقع و أزمة عصور تاريخية متلاحقة و متطورة كشفت أخيرا عن خطورتها في العصر الحديث كأزمة إنسانية معاصرة ، و كمأساة وعي جماعي من حيث شعوره بالإستيلاب والإغتراب .

وهكذا، فقد جعل سارتر من مسرحه وعاء يصب فيه فلسفته، فأدار حواره الفلسفي على خشبة المسرح من خلال الشخصيات المسرحية، وجعل شخصياته في مواقفها تدير حوارا من أجل الإيحاء.

الهوامش:

1سارتر ،ج، 1952،ما الأدب؟، ترجمة محمّد هلال ، القاهرة: دار نهضة مصر، ص 72.

2رمضان الصبّاغ، "الالتزام في الأدب والفنّ بين سارتر والماركسيّة"، الحوار المتمدّن، 2006/01/08، شوهد في 2020/09/10، في https://bit.ly/32r1ue3 :

3 – Sartre,J. 1946 , L'existentialisme est un humanisme, BNF P . 37 . PARIS

4 – سارتر.ج : "الوعي الطبقي عند فلوبيير"، (الطليعة) ، غشت 1977، العدد 8 ، مؤسسة الأهرام ، ص 105. القاهرة.

5 – حباتر ، سعد عبد العزيز ، 1970،مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ، مكتبة الأنجلو المصرية ،ص 195. القاهرة

6 – سارتر،ج ، 1966، الوجود والعدم: بحث في الأنطولوجيا الظاهراتية ، ت. بدوي عبد الرحمن، ط 1، دار الآداب ، بيروت ،ص 67 .

7 – المرجع نفسه ص 704 .

8 – المرجع نفسه ص 772 .

9 – ألبيريس ،ر.م 1960، سار تر و الوجودية. تر. سهيل إدريس، ص 91 ، 92 ،دار الآداب. بيروت

10 – المرجع نفسه ص 48 .

11 – غنيمي ، م: 1958،المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ، ص 634، مطبعة الرسالة ، القاهرة.

12سارتر. د.ت: الذباب . تر . حسين مكي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ص . 134, بيروت

13 – زكرياء . ا. مشكلة الإنسان، ، مكتبة مصر ، ص 200 ، القاهرة.

14 – سارتر الذباب ، مصدر سابق ، ص 147 .

15 – الذباب، ص، 95 .

16 – المصدر نفسه، ص، 101 .

17 – المصدر نفسه، ص 101 .

18 – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

19 – المصدر نفسه، ص 83 .

20 – حرب، س،1994 ، الأنا و الآخر و الجماعة ، الطبعة الأولى ، دار المنتخب العربي ، بيروت.

21 – الذباب ، ص 186 .

22 – Sartre:L'être et le néant ، Gallimard ، 1943 ، . P 514

23 – الذباب ص 177.

24 – الذباب ص 92 .

25 – الذباب ص 156 .

26 – أسعد س ، 1987" جولة في كتاب انجريد جالسنر ، مسرح ج . ب سارتر أمام أول نقاده" ،(عالم الفكر) ، م 17 ع 4 . ص 246 الكويت.